بل هو العدول عن الطريق الموصل الى البغية فيكون الهدى عبارة عن
الدلالة على الطريق الموصل ثم ان عدم الوصول الى البغية لازم للضلالة
ويجوز ان يكون اللازم اعم قوله قال تعالى لعلى هدى او فى ضلال مبين
ترك الآية الثانية فى الكشاف اعنى قوله تعالى اولئك الذين اشتروا
الضلالة بالهدى لعدم التصريح فيه بالمقابلة ولان الهدى فى هذه الآية
غير حاصل للمشترين المذكورين فيمكن ان يقال لو دل المقابلة على اعتبار
الوصول فيه لما وقع ههنا مقابل للضلالة واما توهم ان المقابل فى الآية
الاولى هو الضلال المبين لا مطلق الضلال فيحتمل ان يكون الضلال
الغير المبين وهو عدم الوصول مع الدلالة داخلا تحت الهدى فمندفع
بمعونة المقام اذ الغرض من الابهام المستفاد من كلمة او فى قوله تعالى
وانا او اياكم لعلى هدى او فى ضلال مبين ابراز الكلام على طريق الانصاف
ليبعث السامع بسمعه ويتفكر فيه ويعلم خطابه لعله يهتدى
للحق ويتبرأ عن باطله وهذا ينافى ادخال الضلال تحت الهدى فعلم ان
التوصيف ليس للتقييد بل للتنبيه على ان ضلال المخاطب بين لا يحتاج
الى دليل قوله ولانه لا يقال مهدى الا لمن اهتدى يعنى ان من حصل له
الدلالة من غير الاهتداء لا يقال له مهدى فعلم ان الايصال معتبر فى
مفهومه وقد افاد بايراد الحصر دفع الاعتراض الذى اورد على الكشاف
حيث قال ويقال مهدى موضع المدح كمهتد من ان التمكن من الوصول
ايضا فضيلة يصح ان يمدح بها وانه اريد بالمهدى المنتفع بالهدى مجازا
اما دفع الاول فظاهر واما دفع الثانى فلانه لو كان استعماله لمن اهتدى مجازا وقد افيد
بالحصر انه لا يستعمل لغيره اصلا يلزم وجود مجاز لا حقيقة له وهو مستبعد جدا وهذا
القدر كاف فى المطالب اللغوية واما منع الحصر المذكور فالظاهر من تتبع موارد
استعمال لفظ مهدى انه مكابرة ثم يرد على هذا الوجه انه لا يلزم من عدم اطلاق
المهدى الا على المهتدى ان يكون الوصول معتبرا فى مفهوم الهدى لجواز غلبة المشتق
فى فرد من مفهوم المشتق منه قوله واختصاصه بالمتقين الى ان قال اختصاص

الهدى

الهدى باعتبار اختصاص ثمرته اعنى الاهتداء ومبنى هذا الوجه ان المراد بالمتقين
الموصوفون بالتقوى قوله اولانه لا ينتفع به الا هم يعنى انه ولانه وان كانت عامة
لكن الانتفاع به لا يمكن الا بالنظر والتأمل فيه ولا يتأهل لذلك الا من صقل
العقل عن صداء التقليد والعناد ومخالطة الوهم وعاد الى الفطرة السليمة التى
اشير اليه بقوله عليه السلام كل مولود يولد على الفطرة واستعمله فى تدبر الآيات
الآفاقية والانفسية الدالة على وجوده تعالى ووحدانيته وسائر صفاته وفى
النظر فى المعجزات الدالة على صدق الانبياء عليهم السلام وفى تعرف النبوات
واما المصر على التقليد والعناد والمعرض عن النظر الصحيح الظالم على نفسه فلا يزيده
الا خسارا والهلاك ومبنى هذا الوجه تفسير المتقين بالمشارفين على التقوى
والى كلا الوجهين يشير فيما سيأتى بقوله وتخصيص الهدى بالمتقين باعتبار الغاية
وتسمية المشارف للتقوى متقيا وللناظرين فى هذا الكتاب ههنا كلمات
بعيدة عن المرام لا يرضى به الطبع السليم قوله بالتأمل فيه اى فى معانيه المشتملة على الآيات
الآفاقية والانفسية وفى نظمه الدال ببلاغته على صدق مبلغه قوله فان مكانه الغذاء
الى تعليل للحصر المذكور فكما ان الغذاء الصالح للبدن الصحيح يحفظ الصحة ويبلغه
الى الكمال لنشوه شيئا فشيئا ويحيى به حيوة به مدة بقائه واذا كان البدن مريضا
يضره ويهلكه كذلك القرآن للارواح اذا كانت صحيحة باقية على فطرتها الاصلية
ناظرة نظرا صحيحا يحفظ صحتهم الروحانية ويربيهم شيئا فشيئا بالتدبر فيه والعمل
الى ان يبلغوا كمالهم الروحانى فيحيوا حيوة طيبة ابد الآبدين واذا كانت مريضة
بالكفر متغمة فى التقليد الى ما ال اليه بقوله عليه السلام ثم ابواه يهودانه او
يمجسانه او ينصرانه فاقدة للنظر الصحيح لا ينفعهم بل يضرهم ويهلكهم كما قال
الله تعالى ولا يزيد الظالمين الا خسارا واذا قرأت القرآن جعلنا بينك
وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستورا وجعلنا على قلوبهم اكنة
ان يفقهوه وفى آذانهم وقرا واذا ذكرت ربك فى القرآن وحده ولوا
على ادبارهم نفورا الا انه غذاء دوائى فباعتبار دوائيته يشفى عن الامراض
الضعيفة وهى ما عدا الكفر واليه اشير بقوله تعالى شفاء ورحمة للمؤمنين

متفسحة

دوائى لكا

قوله بنصبه بفتح وسكون اى بنصب الله تعالى اياه دليلا
والمراد بالنصب المنصوب والاضافة بمعنى فى اى بدليله
المنصوب فيه قوله اولانه لا ينتفع الخ قيل الاول
مبنى على ان المراد بالمتقين المتصفين بحلية التقوى
فى الحال والثانى على ان المراد بهم المشارفون على
ذلك المتصفون بها فى المآل ١٢

يعنى الضالين الصائرين
الى الضلالة والثانى محمول على الوجه الثانى

يعنى لفظ المتقين على الوجه الثانى مجاز باعتبار الاول ١٢
الى التقوى

وان قوله تعالى هدى للناس مخصوص بما سوى المصرين
على التقليد والعناد بدليل الآيات الواردة فى حق
هؤلاء مثل قوله تعالى ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم
وعلى ابصارهم وقوله تعالى فذكر ان نفعت الذكرى
الى غير ذلك ١٢

Copyright © King Saud University